إشكالية الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استلاب؟

أ.هاجر مباركي
أ.د.محمد سعيدي
جامعة عبد الحميد بن باديس
-مستغانم- الجزائر

الملخص:

إنّ أهمّ ما يميّز الخطاب الروائي المعاصر، إلحاح الروائيين على العودة إلى الذات والتمسّك بها، والارتباط بالأرض والوطن، وبالتالي التشبّث بالخصوصية الثقافية والاجتماعية، كما وجّه العديد منهم انتقادا للذات من خلال رواياتهم، في رضوخها لواقع الاستلاب والتبعية، وتغييبها لهويتها أمام الغيرية، إنّها حالة من التمزّق بين حالتين أو مستويين من أنماط الهوية،فالذات أضحت تتجاذبها حالة من الصراع بين التصّورات الذهنية الراسخة، وما يقدّمه الآخر من بُنَى فكرية وثقافية مختلفة.

فتحت التجربة الروائية المعاصرة، المجال رحبا للخوض في فضاءات حضارية وثقافية، من خلال الاحتكاك المباشر وغير المباشر بالآخر، فلقد أصبح الوعي بالإنسانية والإنسان وتصوير ضعفه وانهزاماته؛ هو موضوع إنسان الألفية الثالثة، لكلّ ما يحمله من توترات تهدّد وجوده، وصراعات تتحكّم في مساراته، وعولمة تطارده أينما حلّ وارتحل، وغدا الاستبطان النفسي، ورصد علاقات البشر الداخلية في علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بالآخر.لقد أثارت الإبداعات الروائية العربية المعاصرة مواقف فكرية، أسهمت في تكوين الوعي المعاصر وتشكيل رؤية واضحة لعلاقة الأنا العربية بالغيرية، سمتها التباين في الطرح من روائي إلى آخر.

ظلّ سؤال الهوية يجسّد ملامح الهوية في الرواية العربية، ولذا كانت كتابات الروائيين العرب عامة تؤكّد على التعبير عن الوحدة، وتشير إلى مظاهر تنوع الثقافة العربية الحديثة وغناها، ولقد أبرزت معظم الأعمال شظايا ملامح لهويات محلية متناثرة، تتناول الحرص على تفعيل ملامح من الهُويّة المحلية؛ مثل التركيز على إيجاد تعريف للذات. لم يكتف الخطاب الروائي العربي بعرض الهُويات، أو بيان مدى التوافق فيما بينها من عدمه، بل طرحت الرواية الجديدة إشكالية الُهوية المتغايرة بين الائتلاف والاختلاف، وتصدّع مفهوم الهوية الوطنية فضلا عن الهوية المتشظّية.

Problématique de l'identité dans le roman arabe
les caractéristiques de l'aliénation ou les signes d' l'appropriation?

Résumé :

Le concept d'identité s'est largement répandu, passionnant les intellectuels Arabes et Occidentaux et pénétrant de ce fait la vie culturelle moderne. Ce concept constitue, depuis des milliers d'années, une problématique insurmontable pour la condition humaine. Il convient de noter que la crise identitaire est un phénomène tangible tant dans les sociétés capitalistes développées que dans les sociétés socialistes.

L'importance de la recherche sur le thème de l'identité découle de la nécessité absolue de défendre la spécificité culturelle, car ce concept a envahi l'ensemble des sciences humaines en quelques décennies seulement, y compris la psychologie qui considère l'identité comme une forme de réalisation de soi et le mot « identité » représente également l'individualisme d'une personne la rendant ainsi différente d'une autre et puisant son existence de l'autre et de sa relation avec lui. Et c'est de cet échange que naisse anxiété et tension entre les différentes identités.

Et ainsi l'identité devient un mécanisme de défense collectif plutôt qu'individuel, intervenant en cas d'incapacité d'agir ou d'interagir naturellement avec l'autre et rendant incapable l'équilibre entre le « Moi et l'Autre » et surtout lors des défis décisifs tels que les guerres, les catastrophes et les crises culturelles

L'apparition du roman arabe a coïncidé avecla friction avec l'autre et l'éblouissement par sa civilisation, a eu un effet négatif sur son propre esthétiques, et parce qu'on ne peut pas séparerle texte romanesque de ces divers contextes qui l'ont créer, Et beaucoup de préoccupations intellectuellesont souvent transmise a l'autre au début de notre friction avec lui et Nous avons vécu ces causes qu'elle apparait si étrange et différentes de notre société arabe.En réalité, la société arabe contemporaine regorge de conflits entre les visions du monde, qui révèlent clairement la crise identitaire

L'identité est un domaine important de la critique culturelle et de là il conviendrait de s'appuyer sur toutes les méthodologies possibles des sciences humaines, non seulement du point de vue théorique, mais de la réalité des identités à travers le monde, dans leur formation, leur développement, leur disparition, leur résistance, leur introversion et leur extraversion.

L'identité du point de vue de ses significations, ses dimensions, ses composants fondamentaux et ses relations avec l'invariable et le variable, constitue une problématique psychologique et non une réalité toujours concrète, voilà pourquoi on ne peut lui fournir de définition opérationnelle, la décrire, ou préciser ses caractéristiques propres, car c'est un projet culturel ouvert sur l'avenir, mais néanmoins complexe.

متن الدراسة:

تزامن نشوء الرواية العربية مع الاحتكاك بالآخر والانبهار بحضارته، ممّا انعكس سلبا على جمالياتها، ولأنّنا لا نستطيع أن نفصل البناء الروائي عن سياقاته التي أوجدته، فكثيرا ما تمّ انتقال الهموم الفكرية للآخر في بداية الاحتكاك به فعايشنا قضاياه، التي بدت غريبة عن انشغالات وقضايا مجتمعاتنا العربية.

لقد عانت الرواية العربية من الاستلاب الجمالي- في بداياتها الأولى- الذي عكس استلابا فكريا هيمن على الروائيين العرب؛ الذين انبهروا بإنجازات الآخر الإبداعية والفكرية، فظلّ وعي الكاتب مشدودا إلى فكر الآخر، منبهرا بتفوقه ملغيا ذاته، راضيا بالتبعية لتجاوز مظاهر التخلّف في المجتمع العربي؛فمساحات الغرب كما صورتها الرواية العربية المعاصرة، تمتاز بالانفتاح الإنساني والفكري، وهي ملتقى الثقافات والمجال الذي تنصهر فيه التجارب وتتمرأى الهويات؛ فضاء متحرّر يسمح بالتعدّد والتباين والاختلاف.

إنّ هذا الانبهار بمعطيات الحضارة الأوروبية ومظاهرها، لم يقتصر على الرافضين لمعطيات شرقهم العربي فحسب، بل تعداه إلى الانبهار «بمعطيات أوروبا المادية، وروحها الثقافية الحقيقية لعظمة الغرب وموروثه الحضاري، فمحسن بطل (عصفور من الشرق) وقف مبهورا ومتطامنا أمام عظمة المسرح الأوروبي، وبخاصة المسرح الفرنسي ولا

شكّ أنّ عشق محسن للأدب والفن، وتحوّله من دراسة القانون إلى الأدب والفن، له دوره في هذا الانبهار، وفي رؤية عظمة المسرح الفرنسي (...) ولقد سجّل الحكيم اختلاف مصدر انبهار بطل روايته عن رؤية الغربي، فهو يحسّ فيه لذّة التطّهر والخضوع في حضرة الفن، أو لذّة العودة إلى الإنسانية والروح التي توحي بها الموسيقى»[1].

مرّت الرواية التي طرقت معضلات العلاقة بين الشرق والغرب؛ أو ما يسمي بروايات_ المجابهة الحضارية- بمراحل ثلاث: **مرحلة البحث عن الهوية** ؛حيث تناول العمل الأدبي فكرة محاولة اكتشاف طبيعة (الـ "نحن") من خلال اكتشاف طبيعة الآخر، ولقد كانت هذه المرحلة في الروايات التي ظهرت قبل عام ***1967*** ، ثم **مرحلة مساءلة الهوية**؛ وفيها نرصد الأعمال الخاصة باغتراب البطل عن عالم الآخر وعالمه الحضاري الثقافي؛ لعدم قدرته على تحقيق انتمائه لأيّا منهما ؛ فيحدث له اغتراب في النموذجين الحضاريين الشرقي والغربي، تم **مرحلة فقدان الهوية** ؛وهي تقوم على مفهوم الضياع واستغراق الذات في تفاصيل الآخر الغربي، بما يفقده قدرته على معرفة ذاته الحقيقية؛ ومن هنا نتوصل إلى «أنّ الإنسان الواحد ينقسم إلى قسمين: هوية وغيرية، أو يشعر بالاغتراب إن مالت الهوية إلى غيرها أو انحرفت إليه. فالاغتراب لفظ فلسفي والانحراف لفظ فلسفي. الهوية أن يكون الإنسان هو نفسه، متطابقا مع ذاته، في حين أنّ الاغتراب هو أن يكون غير نفسه بعد أن ينقسم إلى قسمين ؛هوية باقية وغيرية تجذبها.»[2]

سيطر الاغتراب على موضوع الهوية،« فلقد تناوله الفلاسفة منذ هيجل وماركس حتّى فلاسفة الوجود المعاصرين، أمثال: سارتر ومارسال، وياسبرز، فالاغتراب هو الأكثر شيوعا والأكثر وقوعا(...) يرى بعض الفلاسفة أنّ الهويّة مجرّد افتراض ميتافيزيقي، في حين أنّ كلّ إنسان مغترب بطريقة أو بأخرى، فالاغتراب على درجات من الشدّة، والإنسان الطبيعي هو الموجود بين قطبي الهوية والاغتراب؛ قد تتحوّل الهوية إلى اغتراب ؛تنقسم الذات على نفسها وتتحوّل ممّا ينبغي أن يكون إلى ما هو كائن، من إمكانية الحرية الداخلية، إلى ضرورة الخضوع للظروف الخارجية، بعد أن يصاب الإنسان بالإحباط، والإحباط عكس التحقّق، وضعف الإرادة وخيبة الأمل وتخلّ عن الحرية»[3]؛ ومن ثمّ تبدأ معاناة الإنسان وتتكون النواة الأولى للاغتراب عن الذات، فالتناقض الصارخ بين ما تريده الذات وبين ما يريده العالم الخارجي، هو مدعاة لانفصام المرء وتشظيه.

إنّ الرواية العربية، وخاصة في نصوصها التي صدرت في النصف الأخير من القرن الماضي وبداية القرن الجديد، قدّمت قراءة أفضل للإنسان العربي في العصر الراهن؛ إذ صارت الكتابة تعني استنطاق ذاتية الإنسان في أحلامه وانهزاماته وإحباطاته، كما أنّها لم تغفل عن الغوص في مجاهل روحه المتمزقة والانفتاح على «الكينونة المتكلّمة انفتاحا متحرّرا، يقع خارج أسيجة الواقع، والمقتضيات الاجتماعية والإرغامات الإيديولوجية»[4].

لقد حملت الرواية العربية بذور الاغتراب في بنيتها الداخلية، وازداد أكثر في الروايات التي طرقت الصراع الحضاري، حيث يتجلى اغتراب الأبطال ذاتيا وجماعيا ومكانيا، فهروب الروائي من واقعه المأزوم إلى عوالم أخرى هو تعبير عن انهزامية واغتراب، نتاج معاناة داخلية وخيبات متتالية وتأسيسا على هذا؛ يمكن اعتبار الاغتراب في الرواية العربية المعاصرة، أحد مكونات الواقع الاجتماعي والنفسي والاقتصادي للفرد والمجتمع على حدّ سواء.

إنّ الاغتراب ظاهرة إنسانية، غير محكومة الظهور بمجتمع دون آخر، إنّما هي إفراز لظروف معينة، ولقد تعرّضت المنطقة العربية منذ الستينيات من القرن الماضي، وخلال العقود الأربعة الأخيرة منه لعدد من الظروف المتشابهة على كافة الأصعدة، السياسي منها، الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي، ربّما بدت محفّزا واقعا لنشأة فكرة الاغتراب، التي خرجت بالسرد الروائي من محدودية سلطة الواقع؛ التي تعنى بالمشاكل الاجتماعية والسياسية شديدة الالتصاق بالهوية ،إلى تبنيّ قضية أزمة الإنسان المعاصر؛ «يقرّ كثير من الباحثين بأنّ الاغتراب عن الذات، هو الأصل في كلّ اغتراب، وأنّ هذا النمط من الاغتراب المتمركز حول الذات قد يؤدي إلى أنماط أخرى كالاغتراب عن المجتمع أو الاغتراب الديني، أو بأكثر شمولية الاغتراب عن العالم الموضوعي»[5].

لم تكن الرواية العربية بمعزل عن التأثّر بتلك الحروب التي مرّت بها المنطقة العربية وكان أهمّها نكسة يونيو/ حزيران **1967** التي أدّت إلى تحطيم الحلم القومي المشترك فحلّت رؤية جديدة في الكتابة، تقوم على «الرمادية في

التعاطي مع الموجودات ،وتهيمن عليها موضوعات الشقاء واليأس والإحباط، بوصف الحرب من أكثر التجارب الإنسانة تأكيدا على عدم الاستقرار.»[6] وجاءت حرب الخليج بتداعياتها النفسية والاقتصادية، حيث ضاعفت نتائجها من الآثار النفسية المريرة التي انعكست على موضوعات العديد من نتاج* الروائيين، وأسفرت عن وجود هموم واحدة مشتركة متعلقة بالهوية العربية ووحدة المصير، في ظلّ الشعور باقتراب الخطر لكافة شعوب المنقطة.

لعلّ مفهوم الاغتراب من أكثر المفاهيم الفكرية الفلسفية التي لامست وأثّرت في الذات العربية داخل الوطن او خارجه، ولأنّ الانتماء هو الهاجس النفسي الأوّل الذي تسعى إليه الذات قصد إشباعه، من خلال التحاقها بجماعات عديدة ضمن إطارها الاجتماعي، ملتزمة بالعادات والتقاليد والقيم، كموجات أساسية لنشاطها داخل الجماعة المنتمي إليها، فقد تتعرّض هذه الذات إلى حالة من الانفصام أو الانفصال النسبي، أو الكلّي عن مجتمعها، أو عن ذاتها نتيجة التناقضات والصراعات، ممّا يؤدي إلى أمرين: إمّا أن تنسحب عن الفاعلية المجتمعية وتركن للاختزال والانعزال الطوعي، أو تتمرّد عن العادات والتقاليد مغتربة عن النفس والواقع، لتحيا الاغتراب باعتباره مكوّنا وجوديا.

وتأسيسا على هذا يمكن القول أنّه «كلّما زادت درجة التناقض بين ما يدركه الفرد على أنّها قيم هامة بالنسبة إليه، وما يدركه على أنّها قيم الآخرين زاد ذلك من إحساسه بالاغتراب Aliénation.»[7] فالاغتراب عن الذات هو عدم قدرة الفرد على التواصل مع عالمه الخارجي، الذي لا يستجيب لاحتياجات عالمه الداخلي إنّه الوعي المغترب، أو هو وعي يعيش غربته داخل واقعه الأصلي، وهذا الوضع يعيشه -على الدوام- المثقف خاصّة في مجتمعاتنا العربية بوعيه المناقض-غالبا- للواقع وخيبات أمله المتكررة فيه ؛ فتتحول ذاته إلى ذات غريبة عن واقعها ومحيطها الأصلي؛ «إنّ المثقف عادة ما يضع التقاليد موضع التساؤل، وربّما يحاول الخروج عنها، وكلّما كانت أصالته أكثر عمقا، ازداد عمق اضطراره للاغتراب مع الناس ويختلط بهم، إنّما يتجسّد اغترابه بشكل أشدّ تأكيدا في اندماجه النفسي والفكري مع القيم الرائجة في المجتمع مع عدم استبعاد إمكانية الانفصال ***"Détachement*** أو الاستقلال الحسّي.[8]»

من أهمّ التيمات التي تناولتها الرواية العربية الهجرة والرحيل القسري عن الوطن، فطرقت من خلالها عددا من الموضوعات التي باتت من هواجس الكتابة الروائية العربية، وأهمّها: الانتماء والهوية، صراع الحضارات واختلاف المجتمعات.

إنّ البحث عن هوية بديلة خارج الأوطان العربية، تصل في أحيان كثيرة إلى حدّ تبني الجنسية الجديدة، وهذا ما لامسناه في بطل "**عصفور من الشرق**" لتوفيق الحكيم: "فمُحسن" الفتى الشرقي تجسيد لفكرة الروحانية، سليل حضارة القيم الروحية العميقة الذي يصادر فضاء الآخر ذاته؛ فالفكرة الحاكمة لحركة الذات في مدينة الآخر هي فكرة الحرية المتاحة بلا حدود في فضائه، والغائبة تماما في فضاء الذات الذي منه أتى الشاب العربي، فباريس- حسب النّص- «تضفي عليهم حيوية جديدة، تنعش وجودهم جميعا، وتظلّ من أعينهم ضاحكة كأنّما هم ألقوا أثقال الرصانة التي كانت ترهق أكتافهم في بلادهم وشعروا شعورا عميقا بأنّهم مدعوون إلى أن يسوقوا في باريس حياة منطلقة لا يحدّ من حريتها قيد.»[9] ومن هنا تبدأ الرحلة إلى العالم الجديد الذي قطع شوطا كبيرا في مضمار الحضارة، فتغرق الذات في عوالم الآخر، وتتحوّل الهوية إلى اغتراب جرّاء انقسام الذات على نفسها، فلاهي تستطيع أن تكسب هوية جديدة من بلد الهجرة، ولاهي تستطيع أن تنسى هويتها السابقة؛ وفي الخارج تزداد الهوية الأصلية انغلاقا، دفاعا عن النفس كرّد فعل طبيعي للأقلية تجّاه الأغلبية، ويزداد التمسّك بمظاهر الهوية، «إنّ فقدان الهوية أي الاغتراب قد يؤدي إلى ردّي فعل متضادين مثل: العزلة والانطواء، أو الانتشار والعنف.»[10].

لقد تمّ تناول فقدان الهوية أي الاغتراب في أكثر من نّص روائي، مرافقا لعلاقة الأنا بالآخر الغريب، بما تحمله هذه العلاقة من معاني الصراع.جسّد الكتّاب صور العلاقة بين الأنا والآخر (المغاير) على الصعيدين الداخلي والخارجي في شكل انتقاد وإدانة، وفضح لأوهام الذات وانحرافاتها الفكرية أو الشعورية، مركّزين على الآخر الأوروبي (الغربي) الذي يعتبره الكثيرون السبب المباشر في الكثير من حالات فقدان الهوية والتشرذم الذاتي، ومن هذا المنطلق ترسّمت صورة الآخر (الغربي) مشوشة ضبابية في ذهن الفرد العربي.

تطرق رواية "هجرة السنونو"للأديب السوري الكبير "**حيدر حيدر**" الصادرة عن دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع سوريا عام ***2008*** في طبعتها الأولى، من خلال بطلها "هزيم" ؛ هزيمة الإنسان العربي وخيباته المتوالية عبر الأجيال المتتالية؛ فشخصية هزيم المحبطة تعاني التشتت الذي أفقدها الأمان والشعور بالراحة اللازمة لتوازنها الوجداني والذهني؛"**هجرة السنونو**" رواية محمّلة بجملة من التأملات، تصوّر واقعا عربيا محبطا ، يتزامن مع نشوب الحرب الأهلية في لبنان وما خلفته على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي.

تدور الرواية حول الهوية الضائعة والإنسان العربي المستلب، من "طرطوس" السورية إلى بيروت اللبنانية إلى قبرص، تلاحق "هزيم" الخيبات المتلاحقة؛ من هزيمة زواج فاشل، إلى هزيمة الاستسلام أمام الحرب الأهلية في لبنان، إلى هزيمة الهروب نحو الآخر في قبرص، وبذلك «تتجاوز الشخصية المثقفة داخل الرواية بوصفها حالة فردية إلى تمثيل نماذج لشريحة كبيرة بدأت تأخذ حيزا غير قليل في المجتمعات النامية، بشكل مباشر أو إيحائي، وبكلّ ما تختمر داخلها من تطلعات وقيم سامية، وتعرض بجلاء تلك الإحباطات التي قد يتعرّض لها المثقف بفعل الصدام مع مجتمع تشيع في أوساطه الآفات، ويؤثر الثبات على الحراك.»[11]

يروي **حيدر حيدر** عبر "هجرة السنونو" ذاكرة الهزيمة المترسّخة في عمق الذات العربية، عبر فضاء الوطن والحب والحرب. إنّ المحطّة الرئيسية في حياة بطل الرواية ،لحظة وصوله إلى بيروت، ليبدأ الكاتب من خلالها التأريخ لعراقة المدينة وتاريخها الحضاري، ومن خلال الأحداث والحوارات بين الشخصيات المتنوعة تتموضع بيروت في مساحة مجتمعية متميزة؛ بما تحمله من تنوّع الطوائف والمذاهب والثقافات، هذه المدينة- الاستثناء- بتركيبتها السياسية وأطيافها الدينية، لم تتمكن من تأسيس وطن حقيقي، فالواقع فيها يتّسم بالفوضى وعدم الاستقرار وحياة الأنانية، إنّ لجوء الروائي السوري "**حيدر حيدر**"« إلى اختيار المكان كعنصر من العناصر الأساسية لروايته على غرار العناصر الأخرى المكوّنة للنّص الروائي، يمثل شكلا من الهروب عن ترجمة الواقع الحقيقي الذي يعيشه المبدع، فيقدّم المكان حلا للمبدع حين يريد الهروب ، أو حين يعمد إلى عالم غريب عن واقعه ليسقط عليه رؤاه التي يخشى معالجتها، وهنا يتحوّل المكان إلى رمز وقناع يخفي المباشرة، ويسمح لفكر المبدع أن يتسرب من خلاله، وقد يكون المكان تقنية مستقبلية يتجاوز بها المبدع مكانه وواقعه.»[12]

"هجرة **السنونو**" هي رواية الاغتراب، من خلال نظرة تشاؤمية نقل عبرها الروائي "حيدر حيدر" مأساة البلدان العربية التي تعيش سلسلة من الهزائم على الصعيد الاجتماعي والسياسي، والثقافي- خاصة- التي يعاني منها المثقف العربي؛ «فأزمة المثقف تتمثّل في شعوره بالمسؤولية، يرافقها الشعور بالعجز من تغيير الواقع، وتتكثف مأساته ليس فقط في ملايين الجدران التي تفصل ما يتبناه من قيم مع ما يعيش عليه الناس في المجتمع ولا لأنّه كذلك لا يحصل على امتيازات اجتماعية في مقابل امتيازاته الثقافية إنّما في الفقد أساسا للغة التواصل، ولذلك فهو في الغالب يكتفي بتدجين أفكاره مؤثرا العزلة.» [13]

"هجرة السنونو" سيرة ذاتية تتعلّق بتضاعيف الرواية، وظّف فيها الروائي تكنيك (تداعي الذكريات) في عملية استرجاع ذكرياته الشخصية في طرطوس مسقط رأسه، ورحلة تنقّله بين المدن ومنفاه، ولعلّ الأدّل على الحركة والتنقّل، انتقاؤه لعنوان الرواية "الهجرة والسنونو"؛ فالسنونو الطائر المحلّق عبر آفاق السماء وعبر الأمكنة، هو رمز للحركة نحو لا مكان ولا استقرار، ولعلّها أيضا القطيعة والانفصال المتواصل عن الانتماء.

إنّ الذكريات المحبطة للأنا المستلبة، والحضور الدامي للموروث القبلي والتاريخي، هي السمات الأساسية التي ميّزت أدب الروائي "حيدر حيدر"، وجعلته يتصدّر الرواية الاغترابية في العالم العربي، إنّ رواية "هجرة السنونو" «عبور من الذات المثخنة بالمعاناة إلى حقائق المعيش، وهذا هو المسار الإجباري الذي تسلكه الأرواح المندفعة نحو المستقبل.»[14]

يعدّ الموضوع الحضاري من أكثر الإشكاليات بروزا وحضورا في الرواية المعاصرة وتراثها، وأديانها وخصوصياتها وحضاراتها، لقد أفقد الطابع الاستعماري الغربي وتشديده القبضة على الشعوب المغلوبة، الثقة بحضاراته وادّعاءاته، لهذا اتّسم موضوع التعاطي الحضاري بين الأنا العربية والآخر الغربي بالتقارب وتبادل الاعتراف بين الهويات المتعدّدة

حينا، وبالتنافر والنبذ والإقصاء أحايين كثيرة، «إنّ الرواية التي عاصرت نشأة الاستعمار وتوسعاته، أقامت تمايزا مطلقا بين الذات الغربية والآخر، أفضى إلى متوالية من التعارضات، والتراتبيات، التي منحت حقّا أخلاقيا يقوم بموجبه الطرف الأوّل باختراق الطرف الثاني، بحجّة تخليصه من وحشيته ووثبيته وهامشيته، وهذا التمايز وفرّ اعتصاما بالذات وتحصّنا وراء أسوارها المنيعة وإقصاء للآخر، وتشويه حالته الإنسانية، وهو من نتاج ثقافة التمركز على الذات.»[15] ولهذا فإنّ فكرة الحضارة الإنسانية الواحدة تعبر إلى الأذهان والنفوس، مشوبة بحمولات تاريخية لصورة سوداوية، رسمها الآخر في ذاكرة الشعوب العربية -خاصة- فالتواصل الحقيقي، يقوم على أساس الاحترام المتبادل بين أقطار العالم، لأنّ الحديث في هذا السياق، هو حديث عن المجابهة الحضارية وليس الانتهاك والاغتصاب الحضاري.

تبدو رواية "**الميراث**" لسحر خليفة، متمثلة لمختلف إشكاليات العلاقة مع الآخر، مختبرة حدودها في ظلّ معطيات المرحلة التاريخية، المتمثلة في مساجلة الآخر الغربي في أمريكا، والآخر الإسرائيلي في فلسطين، فرواية "الميراث" تنطلق من البحث عن الأب الغائب؛بحث يتّحد في دلالاته العميقة بالبحث عن الوطن و عن الذات،« إنّه بحث في حسّ الحياة، وبحث في الانعتاق، يعني اكتشاف الحقيقة، حقيقة تظهر وتتجلى بصورة دائمة الجدّة، وتضع معرفة الذات من الإنسان كائنا حرّا.»[16]

تقدّم رواية "الميراث" صورة منتزعة من العلاقة بين الحضور والغياب، الولادة والموت، فهي تنطلق من حدث محوري هو البحث عن أب غائب، تتابع وقائعه منذ توجّهت "زينب حمدان"-النموذج النسائي الملتبس بين التكوين الشرقي والغربي، كونها ولدت لأب فلسطيني وأمّ أمريكية- «إلى الضفة الغربية في فلسطين، بعد اتّفاقات أوسلو عام ***1993*** ، حتى مغادرتها لها بعد أن بقيت فيها حوالي تسعة أشهر، لكن هذا البحث كان قد بدأ قبل ذلك في نيويورك، حيث حاولت زينب أن تجد أباها في الحيّ الذي كان يسكن فيه ويعمل فيه ، أو أن تعرف شيئا من أخباره،عبثا.وتكون النتيجة وقوعها فريسة للضياع وليس ضياع الأهل فحسب،بل أيضا ضياع الذات وتأزّمها. بل إنّ هذا الضياع الأخير سابق على الضياع الأول،إذ ليس مسعى العثور على الأب إلاّ محاولة للعثور على الذات وتحديد هويتها وتعيين كيانها، فزينب فقدت في أمريكا لغتها وهويتها واسمها وعنوانها، ولعلّ خسارتها ذلك كلّه لم تكتمل إلاّ بخسارتها لأبيها، وهي خسارة تقدّمها الابنة؛ اختفاء أبديا له في حياتها.»[17]

تعود زينب إلى الوطن إلى الضّفة ،حيث يعيش الأب طلبا لحنان عائلي حرمت منه طويلا؛ فتطلّعها للقاء أبيها كان نشدانا للخلاص من أزمة ذاتية مستعصية، نتاج حياتها في أمريكا، «مجتمع متحرّر لا يلتزم بالتقاليد المتوارثة من السلف إلى الخلف (...) وبين تقاليد أسرتها في الحفاظ على شرف البنات حتّى في أمريكا، ذلك أن الخروج على منظومة القيم هذه ستجعل الجميع يجمع على أنّ الرجال أولياء أمور البنات ليسوا رجالا أو ما عادوا كذلك.»[18] لم تكن علاقة زينب بأبيها عاطفية وحسب، بل كان الأب مرجعا تتحدّد به، ومن خلاله الهوية العربية لزينب، وغيابه أفقدها هويتها وشخصيتها أيضا.

إنّ مسعى العودة إلى الوطن، عجز عن تقديم حلّ فعلي لأزمة زينب التي يزداد اغترابها حدّة، وتتفاقم هواجسها؛ فالتّوق الشديد المندفع بالحنين الجارف إلى اللقاء بالأب، لا يفضي إلاّ إلى فراغ وغياب، لقد توفي الأب ولم يتبقى لها منه إلاّ الجثّة.

إنّ الأب في الرواية هو رمز لوطن ضائع ؛ لا تعثر البطلة في رحلة العودة إليه إلاّ على الفراغ والضياع لا وطن ولا هوية إذ تقول: «جئت إلى الضفّة بحثا عنه، بحثا عنهم، بحثا عن وجهي في الغربة.»[19] مشكلة الغربة في الرواية، لا ترتكز على البعد عن الوطن والحنين إليه، بقدر ما هي قضية بحث عن الهوية واكتشاف الذات، إنّها إشكالية اغتراب المواطن داخل وطنه، لا سيما القادم من هجرة طويلة، لا يشعر بالائتلاف فيه، وليس في مقدوره أن يتصالح معه.

إنّ علاقة زينب بأبيها هي« علاقة انتماء إلى بلاد ولغة وتقاليد، وبغيابه وفي انصرافها التام إلى العمل واهتمامها الكامل بالنجاح ،لم تفقد أحاسيسها ومشاعرها فقط ،بل فقدت هويتها وشخصيتها؛ فهي لا تعتبر نفسها أمريكية ولا عربية ولا مسلمة ولا مسيحية، ليس لديها كذلك مشاعر أو عواطف أمومية أو بَنَويّة وتتبدّى لها حياتها على الرغم من

النجاحات الباهرة التي حقّقتها فيها (...) قفرا بدون طعم أو إحساس بالحرمان كان طاغيا، والوحشة ساحقة وتظهر الانجازات الخارقة في العمل بديلا وتعويضا عن هذا النقص العاطفي وهو ما تحاول أن تملأه بوصل ما انقطع، وإيجاد ما ضاع وفقد بالارتباط بالماضي واستعادة ما تبدّد وفات بالعثور على الأب الغائب، الذي يسدّ حضوره هذا النقص في النفس، ويلأم هذا الشرخ في الذات.»[20]

بين الاغتراب والتغريب استعرضت الرواية العربية المعاصرة قضية المواجهة الحضارية بين الذات والآخر و«لقد باتت نصوص هذا النوع من التعبير الأدبي تتساند في- مختلف مراحلها- في صياغة جماليات سردية شتى سمات: الاستبعاد والقبول، التواصل وسوء الفهم، بالقدر ذاته الذي تتقاطع في الإحالة على مستويات متنوعة من صيغ التفاعل مع "المقابل الجنسي والعقدي والعرقي واللساني، والإفضاء إلى معادلات معقّدة من الاستبطان التخييلي للذاكرة الجماعية ولنوازع التمركز داخلها.»[21]

تتباين روايات الصراع الحضاري في مضامينها، عندما يتعلّق الأمر برصد تشكّلات الهوية، وهذا للتّنوع اللافت في صيغها، وللسؤال الأزلي عن حضورها ؛«وسواء كان سؤال الهوية ينطوي على معنى قومي أو سياسي(...) أو معنى اعتقادي لتأويل ديني، فإنّ كيفية صياغة السؤال تشير إلى آلية معرفية تتحدّد بها هوية "الأنا" المسؤول عنها من حيث هي نقيض لغيرها، ومن حيث هي وعي متوتر لم تخل العلاقة به وجوديا ومعرفيا من اختلاط السياسي بالثقافي والعلمي بالإيديولوجي.»[22]

إنّ المتأمّل للنتاج الروائي العربي المعاصر، يدرك أنّ الرواية استطاعت رسم معالم حياة الكثير من البشر، الذين يبحثون عن طريقهم في الحياة، فيعانون ويتحدّون الظروف؛فلقد تبنّت الرواية الجديدة نمط الشخصية المتحوّلة على الدوام ولا تتوقف عن تحولاتها ؛ والروائي على هذا النحو يجسّد الصراع بين "الأنا" وبين الرؤية الكلية لتناقضات الواقع، ولعلّ محاولة رصد الذات الروائية من خلال النّص، يطرح بعدا آخر في رؤية النّص، وهو رؤية العالم من خلال الذات.

هذا ما نجده في بعض الأعمال الروائية التي صدرت مؤخرا "ففي "**شريد المنازل"* لجبور الدويهي**** الصادرة عن دار النهار 2010، يكتب الدويهي رواية ضياع وطن وهوية، إذ ينطلق فيها من واقع ذات معذّبة، بذاكرة مترعة بالنكبات والهزائم؛ تمتدّ أحداث الرواية من عام ولادة بطل الرواية (نظام العلمي) 1952 حتى اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية 1975، بطل الرواية الشريد "نظام" شخصية درامية مأزومة تمثّل جيلا محايدا يعشق الحياة ويقبل عليها بنهم، يقف في تكوينه على مساحة ملتبسة هي منطقة المابين، فهو المسلم في ولادته، المسيحي في الإقامة والرعاية.

انجذب نظام وهو في سنّ الطفولة إلى بستان الجيران، الذي كان يوفّر له قدرا كبيرا من المتعة؛ هذا البستان السحري الذي فرّ إليه -دون إرادة منه- بحثا عن معادل للفراغ الروحي والأسري الذي كان يحفّه من كلّ جانب، مع أمّ لا تهتمّ إلاّ بنفسها؛ «صباحا كانت متبرجّة، لا تظهر على أحد إلاّ وهي في أفضل حال، مرتبة دائما لا يمكنه العبث بها، لا يقترب منها إلاّ وتقف على دفاعاتها: أبعد يديك- لا يلامسها إلاّ ويخرب فيها شيئا، شعرها، أظافرها، طلاء وجنيتها، طيات ثوبها التي تبتثها طويلا بالمكواة.»[23]

رواية "**شريد المنازل**" لجبور الدويهي، يمكن عنونتها بـ "نظام الباحث عن الهوية" فتلخيص الحكاية المركزية في الرواية يكشف أنّ الروائي أراد أن يقيم نموذجا ضائعا بين الهويات القارة، التي لا تجيز التحوّل عنها إلى هوية أخرى، وإلاّ سيكون مصير من يفكر في ذلك الموت، عالم الرواية يشكّل معادلا موضوعيا لما هو مرجعي واقعي في تلك الحقبة ولما هو اليوم.

إنّ مسار حياة "نظام "بطل الرواية جعله يتموضع في مساحة التعدّد الديني، فينتمي بحكم ظروف نشأته إلى الإسلام والمسيحية، فلقد ولد لأسرة مسلمة وانجذب في طفولته إلى أسرة مسيحية، وجدت فيه الطفل المثالي بجماله اللافت وطبيعته الكريمة، فصارت "رخيمة" المسيحية هي الأم البديلة لنظام بحنانها ورقة مشاعرها، «رخيمة مباحة، مستسلمة، يفعل بها ما يشاء، يخرّب ما يشاء يجلس في حضنها ساعة بكاملها، يرسم على وجهها ويديها، يفتّل لها شعرها فصلا، ويمسح فمه المليء بالتوت بمريولها.»[24]

إنّ "نظام العلمي" بطل درامي بامتياز بهويته الملتبسة، أو بتعبير أعمق اللامتنتمي، "نظام" يختزل جيلا يحلم بتخطي الحواجز الطائفية، إذ لا تزال فكرة تقييم الناس تبعا لدينهم وأعراقهم وعصبياتهم قائمة.

إنّ هوية اللاانتماء التي تفاخر بها "نظام" بطل رواية "**شريد المنازل**"، جعلته عدوا للطرفين المتنازعين في وطنه، ليكون مصيره الموت في نهاية الرواية على يد الجبهة الوطنية اليسارية المسلمة لأنّه يحمل اسم "جوزيف" خطأ، «إنّ الحرب الدائرة في بلده ليست كسائر الحروب، إذ هي حرب مركبة لها أكثر من وجه، ويتدخل فيها أطراف يصعب حصرهم، وتعمل على إيقادها أكثر من جهة، وتختلط فيها أهداف متناقضة، وشعارات متنافرة، ما يجعلها عصية على الفهم والإدراك (...) ومن قواعد هذه الحرب، وبالأحرى الحروب التي يشهدها بلده، أنّها ليست حروب تحرير إذ لا تنتج سوى مزيد من القهر والظلم وهدر الحقوق، إنها ليست حروب توحيد، بل حروب تشتيت لأنها ترمي إلى تفكيك المجتمعات، وإعادة فرنها وتصنيفها (...) ولأنّها لا تنتهي إلاّ على أشلاء الأوطان، وذلك بقطع الأواصر وتفتيت اللحمة.» [25]

تتخذ الرواية من "بيروت" فضاء نموذجيا، للكشف عن الصراعات الناجمة عن العصبيات والانتماءات المذهبية والدينية، تختزل حلما ببناء وطنٍ لا تجني على مواطنيه هوياتهم.

إنّ "شريد المنازل" تلخص وضعية المدنيين اللبنانيين الذين يتورطون في مشكلة أللانتماء وتبعاتها الخطيرة، الفئة التي ترفض الواقع المذهبي والانتماءات الضيقة والصراع الطائفي، معلنة أن الأولوية للوطن لا غير، متجاوزة الأديان والعصبيات دون إنكار وجودها، وبناء مجتمع قائم على المواطنة الصرفة.

"شريد المنزل" لجبور الدويهي تشكّل نموذجا متميّزا في طرح الأسئلة الإشكالية عن معنى الهوية، وكيف تتضّح معالمها، تصوّر ذاتا مترعة بالخيبات والأزمات، تبحث عن هويتها. فكرة الرواية تتزامن خارج إطارها الأدبي مع الواقع السياسي والاجتماعي والمذهبي الراهن، في فترة مشحونة بالتناقضات والعصبيات والفرقة بين الأديان والمذاهب .

تستعرض "شريد المنازل" قضية الانتماء إلى المكان أيضا، بقدر ما هو إلى الدين أو المذهب، هو التعدّد والانتماء الطائفي الذي يمرّ بأسوأ لحظاته، وأكثرها تعصّبا، «فالحديث عن الهوية يتورط دائما في إشكالية مرتبطة بالمكان والزمان»[26]. إنّ رحلة السارد في رواية "شريد المنازل" من عالم تحميه السماء وتحتضنه أرض البستان السحري الذي صنع أفراحه، إلى عالم الأهوال والقتل المجاني، وصولا إلى اللاهوية؛ يمثل رحلة معاناة ومكابدة.

تشتبك بعض الأعمال الروائية المندرجة تحت مفهوم الرواية الجديدة ،مع الذات التي تسعى للتعرف عليها وتحديد ملامح هويتها الخاصة، وتحاول التمييز بينها وبين الآخر، فالرغبة في إدراك الكيان الذاتي تعدّ مشكلة على حدّ تعبير إدوارد خرّاط: «فمشكلة الهوية هي القضية الأولى التي تلّح على مجمل الأعمال، والأسئلة المؤرقة التي تستلهم الخبرة الفنية كلّها يمكن تلخصيها وبلورتها: **من أنا؟ من أنت؟ أوَاحِدٌ أم أكثر.** »[27]

إنّ الوعي بالذات عنصر مهّم، في رسم الحدود مع الآخر، «لأنّ الوعي إذا فقد أيّ صيغة من صيغ التجدّد، التي تَسِمُه بالثبات والرسوخ، تفقد الذات في انفتاحها المطلق هويتها بالتماهي في الآخر»[28] ، وبالتالي تبقى مسألة الهوية تدرج في نطاق الصراع الذاتي أو الاجتماعي، والحضاري، ولا يمكن اختزالها ضمن منطق معيّن لأنّها متداخلة المفاهيم.

تركيب:

إنّ صراع الهوية اليوم تجاوز الأطر الضيقة، ليتحوّل إلى صراع عالمي بين قوى غير متوازنة، فالعالم بأجمعه تقريبا تلاحقه أزمة الهوية؛ وقد تكون من أهمّ العوامل التي أدّت إلى بروز أزمات هوياتية ، التطور التكنولوجي وولوج العالم مرحلة العولمة بكلّ أشكالها، وبروز دور الأقليات في التعبير عن ذاتها، من خلال المناخ الدولي المحفّز لها ، والعامل الآخر هو التحوّل الديمقراطي ونهاية الإيديولوجيات التقليدية.

لا يزال سؤال الهوية مطروحا إلى يومنا هذا، لا في إطار تأريخ وتوثيق، بل في إطار شك وبحث واستقصاء ،وما تزال أزمة الهوية قائمة في الأوطان العربية، فخطاب الهوية في نظر من يدعو للعالمية وتجاوز الذات، هو خطاب انغلاق على الذات، رجعي وسلبي، والانغلاق مناقض ومناف لواقع حضاري، في حركية دائمة، خصوصا ونحن في زمن العولمة،

وهذا يحتاج إلى الانفتاح لا التقوقع والانغلاق، إنّ هذه الدعوات تبنتّها منظومات توحيد العالم، وهذا الأمر يهدّد مسألة الهوية، باعتبارها ميزة كلّ شعب لها تاريخها وثقافتها.

تعدّ« الهوية إعادة موضعة للذات تجّاه نفسها وتجّاه العالم بواسطة الفعل، إنّ الذات لا تدرك هويتها- من حيث هي نقص- إلاّ بالمرور ممّا يمنحه الظاهر من عمق نحو باطن غير مدرك- وهذا المرور لا يتحقّق إلاّ من خلال تجريب الذات نفسها في علاقتها بموضوعها وفي علاقتها بالآخرين»[29] ولذلك يكون فعل الذات قياسا إلى ما تنجم عنه هذه التجربة.

إنّ حياتنا التي نعيشها كلّ يوم، محكومة في جزء منها بقلق التفاهم والتواصل مع الآخر، والاتّفاق معه، وتبقى الهوية مختزلة ناقصة هشّة مترددة، ما لم تتضمن صورة الذات وآخرها؛فغياب الآخر أو إقصائه، أو سلبه حقّه في التعبير، يجعل من صوت الذات ذي بعد واحد.؛ فالذات منذ الأمد مسكونة بالغيرية فـ "الذات عينها هي الآخر"، على حدّ تعبير بُول ريكور.

إنّ التجارب الروائية المعاصرة، كما سلف ذكره عبر مجمل مباحث هذا الفصل «تضحى سياقا مؤقتا لتركيب معالم البحث عن التواصل المفقود، والسعي إلى بناء هوية إنسانية متعالية، عبر تناول فنّي لمظاهر التعارض بين قيم الذاتي والغيري، واستبطان سمات التنائي والنفي المتبادل بين الهويات، واستكشاف حوافز سوء الفهم بين الانتماءات المختلفة.»[30] فهل يمكن للرواية العربية وقالبها، أن تستوعب أزمة الذات العربية بكلّ خصوصياتها، إنّ طرح مثل هذا الإشكال، «لا يمكن أن يفسّر إلاّ في ضوء المرحلة الحضارية العامة التي يمرّ بها العالم العربي كجزء من العالم الثالث، في ارتباطه بالعالم المتطوّر، وفي ضوء البحث الدائم للإنسان العربي عن هويته الحقيقية التي أصابها أكثر من الاضطراب، عندما واجهت حضارة متقدّمة تتحداها، وتريد أن تفرض عليها قيمها الخاصّة، وحتّى أشكال تعبيرها أيضا، وفي الوقت الذي يصبح في إمكان الإنسان العربي أن يحدّد هويته الخاصّة، وذلك بمعرفة تامة لذاته وبمعرفة تامة أيضا لموقعه بالنسبة للعلم المتطور، إذ ذاك يمكنه أن يؤسس بصفة عامة أدبا واضح التيارات، وأن يخلق مدارسه الأدبية الخاصة.»[31]

إنّ الإرهاب الفكري يؤدي إلى تدمير إنسانية الإنسان، ويكرّس للتفريق بين الذوات، لا التقريب بينها، كما يؤدّي بشكل حتمي إلى نفي الآخر المختلف جنسيا عرقيا، دينيا وفكريا، ومن هنا تبرز أهمية الانفتاح واحترام الاختلاف؛ بالاعتراف بالآخر شريكا في البناء وبحضور الذات في عملية المثاقفة، بمزيد من التعرّف على الثروات المعرفية المختزنة، وخلق الاندفاعية القوية والضرورية لفهم الثقافات المغايرة.

إنّ الأعمال السردية التي تنتمي إلى الرواية الجديدة ،تشهد نقلة في خطابها وموضوعها وأساليب بنائها، «ومن هنا غدت الكتابة الروائية لا تكتفي بمجرّد سرد حكايات شخصياتها، وتتبع ما يأتون به من أحداث وحسب، وإنّما تعمل على تقديم حكاية وعي الكاتب نفسه في محاولته لاكتشاف ذاته ومساءلة أدوات وطرائق إبداعه، بما يجعل الكتابة نوعا من اللعب المبدع الواعي المختفي بالكتابة ذاتها على حساب المكتوب عنه»[32] وبهذا تكون الرواية جنسا أدبيا متميّزا للتعبير عن الحاضر، وهي وصف لحالة الذات والمجتمع والعالم.

الهوامش و الإحالات:

1 - حسن عليان –العرب والغرب في الرواية العربية- دار مجدلاوي للنشر عمان، ط1، 1425 هـ-2004 م، ص27.

2 - حسنين، حسن حنفي –الهويّة- المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ط1، 2012، ص11-12.

3 - المرجع السابق، ص24.

4 - حسن المودن –الرواية والتحليل النصّي- قراءات من منظور التحليل النفسي ، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان الرباط، ط1، 1430-2009م، ص223.

- عيد إبراهيم –الاغتراب النفسي- الرسالة الدولية للإعلان، القاهرة، 1990، (د.ط)، ص5.101

6 - الورقي السعيد –اتجاهات القصّة القصيرة في الأدب العربي المعاصر- جار المعارف القاهرة، ط2، 1984، ص309.

- يرى محمد برادة أن الخطاب الروائي يمثّل: «الجنس الأدبي الأقدر على التعبير عن علائق الإنسان الحديث المعقّدة سواء على صعيد الذات أو على صعد فهم المجتمع والكون، واستيعاب التحولات المتسارعة.» أنظر: "الرواية أفقا للشكل والخطاب المتعددين"، مجلة فصول، العدد 4، 1993، ص10. *

7 - يوسف محمد عبّاس –الاغتراب والإبداع الفنّي- دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، 2004، ص28.

8 - أميرة علي الزهراني –الذات في مواجهة العالم- تجليات الاغتراب في القصّة القصيرة في الجزيرة العربية، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء المغرب)، ط1، 2007، ص151.

9 - سهيل إدريس –الحي اللاتيني- دار الآداب، بيروت، ط10، 1979، ص19.

10 - حسنين، حسن الحنفي –الهوية- المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012، ص25.

11 - أميرة علي الزهراني –الذات في مواجهة العالم- تجليات الاغتراب في القصّة القصيرة في الجزيرة العربية- ص168-169.

12 - حكيم أومقران–البحث عن الذات في الرواية الجزائرية- (الطاهر وطّار نموذجا)- مقاربة سوسيو ثقافية، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص113.

13 - أميرة الزهراني-الذات في مواجهة العالم –تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية (م،س)ص183-182

14 - سعيد بنكراد-السرد الروائي وتجربة المعنى-المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، ط1 ص235

15 - د. عبد اللّه إبراهيم –السردية العربية الحديثة- الأبنية السردية والدلالية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2013، ص49

16 - ماري مادلين دافي –معرفة الذات- تر: سليم نصر، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1983، ص10.

17 - سامي سويدان –فضاءات السرد ومدارات التخييل- الحرب والقضية والهوية في الرواية العربية، دار الآداب، ط1، 2006، ص139.

18 - سحر خليفة –الميراث- دار الآداب بيروت، 1997، ص15.

19 - المرجع السابق ص11.

20 - سامي سويدان –فضاء السرد ومدارات التخييل- الحرب والقضية والهوية في الرواية العربية، (م- س) ص139- 140.

21 - شرف الدين مجدولين- الفتنة والآخر- أنساق الغيرية في السرد العربي (مرجع سابق)، ص82.

22 - جابر عصفور –الهوية الثقافية والنقد الأدبي- دار الشروق القاهرة، ط1، 2010، ص342.

*- شريد المنازل: صدرت الرواية في طبعتها الأولى عن دار النهار 2010، أما الطبعة الثانية، فهي صادرة عن دار الساقي للبنانية 2012 (ولقد اعتمدنا في المتن على الطبعة الثانية).

**- جبور الدويهي: من مواليد زغرتا شمال لبنان 1949 حاصل على إجازة من كلية التربية في بيروت ودكتوراه في أدب مقارن من جامعة باريس،أستاذ الأدب الفرنسي في الجامعة اللبنانية، كاتب إفتتاحيات وناقد أدبي في مجلة l'orient expresse قام بترجمة عدة مؤلفات أدبية وعامة من الفرنسية إلى العربية. www.ar.wikipedia.org/wiki

23 - جبور الدويهي- شريد المنازل- دار الساقي اللبنانية 2012، ط2، ص29.

24 - المصدر انفسه، ص29.

25 - علي حرب –خطاب الهوية- سيرة فكرية حوار حول صناعة الذات- الدار العربية لعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، لبنان، ط2، 1429 هـ، 2008م، ص16.

26 - محمد نور الدين أفاية –الهوية والاختلاف- إفريقيا الشرق 1988، (الدار البيضاء (د.ط)، ص14.

27 - إدوارد خرّاط – ما وراء الواقع- مقالات في الظاهرة اللاواقعية- القاهرة الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية العدد 68، 1997، ص245.

28 - عبد اللّه أبو هيف –الجنس الحائر- (أزمة الذات في الرواية العربية)، رياض الريس للكتب والنشر لبنان، ط1، 2003، ص09.

29 - عبد الرحيم جيران –الهوية والسرد- ملاحظات أولية- فصول، دراسات نقدية العددان 88/87، 2014/2013، الهيئة المصرية للكتاب، ص128

30 - شرف الدين ماجد ولين –الفتنة والآخر- أنساق الغيرية في السرد العربي الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الامان الرباط، ط1، 1433هـ-2012م، ص103.

31 - حميد لحميداني –الرواية المغربية- ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص546.

32 - محمود الضبع –الرواية الجديدة، قراءة في المشهد العربي المعاصر- المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2010، ص92.